
أثر تجارة المحاصيل الزراعية على نشوء الطرق التجارية في غور الاردن (درب القفول)

منذ بداية العصر العباسي حتى نهاية العصر العثماني

د. جمعة محمود كريم
جامعة مؤتة
كلية الاداب / قسم السياحة والآثار
الكرك / مؤتة
الاردن

تعدى هذه الدراسة بدرب القفول المار عبر غور الاردن الشمالي^(١). واثرت تجارة المحاصيل الزراعية على نشوئه في العصور الاسلامية الوسيطة والمتأخرة (منذ القرن العاشر الميلادي وحتى ١٩٤٨ م). وبالرغم من ان ذكر هذه الطريق التجارية جاء في فترة زمنية متأخرة؛ وذلك ما بعد القرن السادس عشر الميلادي، الا أن هدف هذا البحث هو تتبع اصول واهمية هذه الطريق منذ بداية العصر الاسلامي الوسيط، معتمداً في ذلك على:

١- المصادر التاريخية والجغرافية.

٢- ملاحظات الرحالة المسلمين والعرب والرحالة الاوروبيين الذين زاروا غور الاردن منذ بداية القرن التاسع الميلادي.

٣- نتائج المسوحات الأثرية السابقة في غور الاردن الشمالي.

٤- نتائج الحفريات الأثرية السابقة في غور الاردن الشمالي.

٥- نتائج الحفريات الأثرية الاخيرة في موقع ذراع الخان.

تفيدنا المصادر التاريخية والجغرافية ان ازدهار غور الاردن الزراعي قد استمر خلال العصر العباسي (١٣٢-٦٥٦ هـ / ٧٥٠-١٢٥٨ م). فيذكر الاصطخري^(٢) وابن الفقيه^(٣) كثرة العيون والاودية الجارية في غور الأردن، وإزدهار زراعة النخيل فيه. كما يصفه ابن حوقل^(٤) بأنه بقعة جميلة تكثر فيها زراعة أشجار النخيل والازهار. ويحدد المقدسي^(٥) في القرن العاشر الميلادي مزروعات كل مدينة من مدن غور الاردن. فاشتهرت منطقة اريحا، بزراعة النيلة والنخيل والموز وقصب السكر، أما منطقة بيسان، فقد اشتهرت بزراعة النخيل والارز. وقد سجل الادريسي^(٦) أن اشجار النخيل والنيلة قد زرعت بكثرة في جنوب غور الاردن أيضاً.

ونتيجة لاستمرارية ازدهار غور الاردن زراعياً خلال العصر العباسي، فقد نشأت فيه مجموعة من القرى الزراعية، التي تحيط بالمدن الإدارية^(٧). ونذكر من هذه المدن الادارية، الواقعة في شرقي غور الاردن، مدينة طبقة فحل، الواقعة في شمال غور الاردن، وعمتا^(٩) (قرية أبو عبيدة حالياً)، الواقعة في وسط غور الأردن، وزُغَر (أو صُغَر) (قرية الصافي حالياً)، الواقعة للجنوب من البحر الميت.

وبالرغم من أن المصادر التاريخية والجغرافية لم تحدد لنا أسماء وأماكن وجود القرى الزراعية، والعائدة للعصر العباسي في غور الاردن، إلا أنه يمكننا حالياً من رصدها على خارطة غور، وذلك من خلال نتائج المسوحات الأثرية الأخيرة التي جرت في المنطقة. فقد تمكنت بعثة مسح غور الأردن عامي ١٩٧٥ و ١٩٧٦ م من تسجيل ستة عشر موقعاً أثرياً^(١٠)، تمثل ما نسبته ١٤, ٧٪ من المجموع العام للمواقع المسجلة في المنطقة الممتدة من العدسية شمالاً والبحر الميت جنوباً، وقد التقط عن سطحها مخلفات حضارية تعود للعصر العباسي/ الفاطمي. كما تمكن الباحث من التعرف على مخلفات حضارية تعود للعصر العباسي في موقع واحد، يمثل ما نسبته ١٤, ٧٪ من المجموع العام للمواقع المسجلة في منطقة سليخات^(١١). وأمكن التعرف على المخلفات الحضارية العائدة للعصر العباسي/ الفاطمي في ثلاثة مواقع تمثل قرى زراعية بمنطقة جسر الشيخ حسين، الواقعة في غور الأردن الشمالي^(١٢).

كما اشتهر غور الاردن باستخراجه لمعادن هامة، إلى جانب المنتجات الزراعية السابقة الذكر، نذكر منها الملح والقار المستخرج من البحر الميت^(١٣). وقد مثلت المنتجات الزراعية، العماد الاقتصادي لقرى ومدن غور الاردن في العصر العباسي/ الفاطمي. ذكر المقدسي أهم صادرات مدن غور الأردن في القرن العاشر الميلادي؛ فصدرت النيلة من أريحا، وصدرت النيلة والتمور والعصير المستخرج من قصب السكر من زُغر (صُغَر) وبيسان، وصدر الرز من بيسان أيضاً^(١٤). ويبدو أن مادة السكر المستخرجة من قصب السكر قد مثلت أهم صادرات غور الاردن، وذلك منذ القرن العاشر وحتى نهاية القرن الرابع عشر الميلادي^(١٥).

يرى هارتمان اعتماداً على ما أورده ابن خرداذبة، وابن قدامة، واليعقوبي، والمقدسي، أن الطريق المارة عبر فيق، فطبريا، فييسان، فمرج ابن عامر، هي الطرق التجارية الأساسية التي كانت تصل خلال العصر العباسي بين دمشق والقاهرة. كما يذكر المقدسي^(١٧) طريقاً تجارياً أخرى تمر عبر غور الأردن الجنوبي، وتمتد هذه الطريق من القدس الى اريحا، وبيت الرام (الرامه حالياً)، وعمان، ومآب أو الزرقاء، واذرعات (درعا حالياً) ومن ثم الى مدينة دمشق.

إن وفرة الإنتاج الزراعي لقرى غور الأردن في العصر العباسي، وكثرة مدنه الإدارية، كطبريا، وبيسان، وطبقة فحل، وعمتا، واريحا، وزغر، تقودنا لاعتقاد بوجود طرق تجارية، تربط بين هذه الحواضر من ناحية، وبين الطريق الرئيسة الواصلة بين دمشق والقاهرة، من ناحية أخرى. يبدو أن المصادر التاريخية والجغرافية لاتسعفنا في رصد هذه الطرق التجارية الواصلة الى الطريق الأساسي السابق الذكر، ولذا كان لابد من الإعتماد على المعطيات الأثرية، ما تسنى ذلك، لتتبع الطريق الفرعية.

يبدو أن البعثة الأثرية الأسترالية العاملة في مدينة طبقة فحل، قد تنبّهت أخيراً لهذه الملاحظة، حيث أجرى فرانك كوكي (Koucky, F) (١٨) مسحاً أثرياً للمنطقة المحيطة بمدينة طبقة فحل، بغرض رصد طرق المواصلات الواصلة إليها من مختلف الجهات. ولقد اعتمد كوكي في رصده للطرق الواصلة إلى مدينة طبقة فحل من الجهة الغربية، مسبقاً على المعابر الرئيسة (مخاضات) الطبيعية لنهر الأردن. وعلى ذلك يرى هذا الباحث أن هناك طريقين يصلان طبقة فحل ببيسان، يمر الأول عبر الحمة، وخربة الشيخ محمد، ومن ثم إلى نيسان، أما الطريق الثاني فيمر عبر بلدة المشارع، وتل غنام، وتل الشيخ داوود، وكفر روبين، وبيسان. كما رصدت طرق أخرى تقود من طبقة فحل إلى المنطقة الشرقية باتجاه عجلون وجرش. وبناءً على دراسة الشقف الفخارية الظاهرة على سطح المواقع الأثرية المارة بها هذه الطرق الفرعية، والواصلات بين مدينتي طبقة فحل وبيسان، فقد أرخت للفترات الكلاسيكية والإسلامية المبكرة (العصر الأموي)، والإسلامية الوسيطة (العصر الأيوبي/ المملوكي).

ويرى الباحث أن كوكي قد أخطأ في رصد الطريق الواصل بين مدينتي طبقة فحل وبيسان، وذلك اعتماداً على نتائج حفرياته الأثرية الأخيرة في موقع تل قدسية الواقع بين مدينتي طبقة فحل وبيسان. ويمثل هذا الموقع حلقة وصل أساسية بين المدينتين في الفترات الكلاسيكية والإسلامية، حيث عثر في الموقع على سويات أثرية تعود لجميع الفترات السالفة الذكر (١٩). ومما يؤكد هذه الرؤية أيضاً، هو العثور على الشواهد الحجرية، والعائدة للعصر الروماني، الدالة على الطرق التجارية المارة عبر غور الأردن، والواصلات بين مدينتي طبقة فحل وبيسان، في مواقع طواحين السكر، وتل الأربعين (٢٠)، الواقعة على بعد ٨٠٠ متر للشرق من تل قدسية، وعلى ذلك يمكن تتبع الطريق الواصلة بين مدينتي طبقة فحل وبيسان، وذلك حسب المعطيات الأثرية، كما يلي: طبقة فحل، طواحين السكر، تل الأربعين، تل قدسية، جسر الشيخ حسين، وبيسان. كشفت الحفريات الأثرية في موقع طبقة الفحل عن منشآت معمارية كبيرة ومخلفات أثرية أخرى تعود للعصر العباسي الفاطمي. ويرجح الأثاريون القائمون على هذه الحفريات أن هذه المنشآت المعمارية أستخدمت لأغراض عامة كأسواق تجارية أو خان (٢١). وكشفت الحفريات الأثرية في موقع تل قدسية، رغم صغر المساحة المحفورة، عن مخلفات حضارية ضمن طبقات أثرية تعود للعصر العباسي/ الفاطمي (٢٢). كما عثر على مثل هذه المخلفات الأثرية في موقع قم الأثري (٢٣)، الواقع على المرتفعات الشرقية بين مدينتي اربد والشونة الشمالية.

كما أمكن التعرف على مخلفات أثرية تعود للعصر العباسي / الفاطمي على سطح عدد من المواقع في منطقة وادي العرب^(١٤)، الواصل بين المرتفعات الشرقية، في شمال الأردن، وغور الأردن، قرب الشونة الشمالية. إن المعطيات الأثرية الآتية من هذه المواقع تدفع للاعتقاد بوجود خط تجاري آخر يمر عبر غور الأردن في العصر العباسي، يوصل بين الطريق الرئيسي المار عبر طبريا وبيسان، الى حوران، مخزن القمح والحبوب، كما وصفت من قبل المقدسي^(٢٥) في القرن العاشر الميلادي. ويُعتقد بأن هذا الخط التجاري يمر عبر بيسان، وتل قدسية، ووادي العرب، وقم، وأربد، والكسوة، ودمشق. ولعل الحفريات الأثرية في شمال الأردن، تسعفنا في المستقبل في تتبع أدق لمراحل هذا الخط التجاري، والذي يمثل أصل الطرق التجارية والمدعوة لاحقاً بإسم درب «القفول».

تمكن الصليبيون منذ بداية القرن الثاني عشر الميلادي من احتلال فلسطين وأجزاء من جنوب الأردن، وأسست فيها مجموعة من الحصون العسكرية^(٢٦)، كما أنشأ الصليبيون عدداً من القلاع العسكرية على الطريق التجارية الأساسية، والواصلة بين حاضرتي الخلافة الإسلامية، دمشق والقاهرة، والمارة عبر غور الأردن الشمالي. نذكر من هذه القلاع، قلعة طبريا، وقلعة بيسان، وقلعة الطور. ونتج عن هذا الاحتلال أن قطعت طريق الإتصال المباشر بين دمشق والقاهرة، المارة عبر الجزء الشمالي من غور الأردن^(٢٨). فاستخدمت طرق أخرى أكثر مشقة وأبعد مسافة، لتمر عبر صحراء سيناء جنوب فلسطين، وجنوب الأردن، ومن ثم عبر شرق الأردن ومحاذة المنطقة الصحراوية الى دمشق. ومن هذه الطرق «درب البديرة» التي كانت تمر عبر جنوب فلسطين، موصلة الى وادي موسى، ثم عبر شرق الأردن الى دمشق^(٢٩). واستعمل هذه الطريق السلطان المملوكي بيبرس عام ١٢٧٦م للوصول الى البتراء والكرك، وحددت أهم المحطات الواقعة عليه. كما استخدمت طريق أخرى أقصر مسافة من الأولى، ولكنها أكثر خطراً، وهي الطريق المارة عبر جنوب فلسطين الى غور الصافي أو غور دامية، وثم عبر شرق الأردن الى دمشق^(٣٠).

ويبدو أن المدن الإدارية العائدة للعصر العباسي / الفاطمي، والواقعة في غور الأردن كطبريا، وبيسان، وطبقة فحل، وإريحا، قد تقلصت الى أن أصبحت قرى صغيرة في القرن الثاني عشر الميلادي^(٣١)، وظهرت، بدلاً منها، مدن جديدة في القرن الثالث عشر الميلادي، مثل القصير (الشونة الشمالية)، وعمتا (قرية أبو عبيدة حالياً)، وبيت الرام (قرية الرامة حالياً) ودير الخصيان (موقع غير معروف لكنه يقع في غور البلقاء)^(٣٢). ويبدو أن المدن الإدارية العائدة للعصر العباسي / الفاطمي، والواقعة في غور الأردن، قد أصابها الدمار والهجران، نتيجة لوقوعها على الطرق الحربية بين الأيوبيين والصليبيين. كما يبدو أن بناء قلعة الرض عام ١١٨٤م قد وفر الامن والاستقرار للقرى الزراعية الواقعة في وسط غور الأردن، لتظهر مدينة عمّتا (أبو عبيدة) كحاضرة غور الأردن الأساسية في القرن الثالث عشر الميلادي^(٣٤).

شهد غور الأردن، إزدهاراً اقتصادياً نظراً لانتعاش الزراعة الصناعية، المتمثلة بزراعة قصب السكر في غور الأردن^(٣٥)، ومرور طرق المواصلات الرئيسة بين دمشق والقاهرة عبر الجزء الشمالي من غور الأردن، مما ساعد على نقل المنتجات الزراعية والصناعية من غور الأردن إلى مراكز التمدن، خلال العصر المملوكي، ازدهاراً زراعياً ونمواً سكانياً وخلال العصر الأيوبي/ المملوكي، شهد غور الأردن كثافة سكانية عالية. ويبدو أن زراعة قصب السكر تتطلب جهوداً بشرية مدربة وكبيرة العدد، ولذلك فقد جلب الأمراء الأيوبيون والمماليك أعداداً بشرية كبيرة^(٣٧) (يُعتقد بأن غالبيتها جاءت من شمال افريقية) للإشتغال بحقول قصب السكر وبناء الطواحين اللازمة لصناعة السكر والآنية الفخارية اللازمة لتصنيع السكر، تلك التي سماها النووي بالبلابليج^(٣٨). وتؤيد نتائج المسوحات والحفريات الأثرية التي جرت في غور الأردن ازدهاره وكثرة قراه الزراعية، والعائدة للعصر الأيوبي/ المملوكي (انظر الخارطة رقم ١). فقد سجلت بعثة مسح غور الأردن في عام ١٩٧٥ و ١٩٧٦ م مائة وتسعة عشر موقعا^(٣٩)، تمثل ما نسبته ٥٣٪ من المجموع العام للمواقع المسجلة في غور الأردن، وقد ظهرت على سطحها مخلفات حضارية عائدة للعصر الأيوبي/ المملوكي. وقد وصفت ثلاث وثلاثين موقعاً من هذه المواقع على أن غالبية المخلفات الحضارية الظاهرة على سطحها تعود للعصر الأيوبي/ المملوكي. كما وصفت بعض هذه المواقع، كقرى زراعية، وأخرى خصصت لأغراض تصنيع السكر^(٤٠). أما في منطقة جسر الشيخ حسين، فقد عُثر على المخلفات الحضارية العائدة للعصر الأيوبي/ المملوكي في ستة مواقع، وقد قُسمت هذه المواقع أيضاً إلى قسمين، أستخدم الأول منها كقرى زراعية، وأستخدم الثاني كمراكز لتصنيع السكر من قصب السكر، وذلك من خلال العثور على كميات كبيرة من الشقف الفخارية التي تخص أواني تصنيع السكر أو العثور على إنشاءات معمارية أستخدمت كمعاصر لقصب السكر^(٤١). كما أمكن أيضاً وضع التصنيف السابق للمواقع الأثرية التي حلت على سطحها مخلفات حضارية عائدة للعصر الأيوبي/ المملوكي في منطقة سليخات^(٤٢). وقدّر الباحث حمارة، عدد طواحين السكر، والعائدة للعصر الأيوبي/ المملوكي، في غور الأردن بحوالي ٣٠ طاحونة^(٤٣). وقامت الباحثة أبو دلو، بدراسة وتوثيق بعضها والواقعة في شمال ووسط غور الأردن^(٤٤). كما عُثر على شقف فخارية عائدة لآنية تصنيع السكر (SUGAR POTS) في سويات أثرية تعود للعصر الأيوبي/ المملوكي في موقعي تل أبو قعدان^(٤٥) وتل أبو سربوط^(٤٦) الواقعين للشمال قليلاً من تل دير علا الأثري.

ونظرا لاهمية غور الاردن الاقتصادية في العصر المملوكي فقد قسم الى اربع ولايات هي : الغور الامجدى ، والغور التقوي ، وغور بيسان ، وغور قصير بن معين (الشونة الشمالية) (٤٨) . ويضيف ابن شداد (٤٩) ان الغور هو ضمن ولاية دمشق وقسم الى غور طبريا والسواد . ولقد وزعت هذه الاقسام بين الامراء المماليك الحربيين كقطاع حربي ، ومثال ذلك منح السلطات المملوكي بيبرس كامل منطقة القصير (الشونة الشمالية) للامير عز الدين الاتابك الفخري (٥٠) .

ويبدو ان النشاط الزراعي والصناعي لقرى ومدن غور الاردن ، في العصر الايوبي / المملوكي ، قد وفر مادة كبيرة للمتاجرة بها كما ان نظام الاقطاع الحربي في العصر الايوبي / المملوكي قد وفر الأمن والاستقرار في المنطقة ويبدو ان هذه الامور من ابرز العوامل التي ساعدت على نشاط الطرق التجارية المارة عبر غور الأردن . ومما يؤكد هذه الرؤية التوزيع المكاني للمواقع الاثرية ، والتي ظهر على سطحها مخلفات حضارية تعود للعصر الايوبي / المملوكي . حيث تركز وجود هذه المواقع بالقرب من الطرق التجارية المارة عبر غور الاردن ، كطريق بيسان ، الشونة الشمالية — زحر — اربد — او طريق اريحا ، الكفرين ، عمان (٥١) .

ويبدو ان النشاط الزراعي والصناعي لقرى ومدن غور الاردن في العصر الايوبي / المملوكي ، بالاضافة الى مرور طرق التجارة الرئيسية عبره ، قد عكس اثرهما على تسمية بعض المواقع ، فمثلاً نلاحظ تغير اسم قصير معين الدين الذي ظهر في الفترة الايوبية الى اسم الشونة الشمالية في العصر المملوكي ، والتي يقابلها في جنوب غور الاردن ، الشونة الجنوبية ، وتدل الدراسة اللغوية الدلالية لموقع الشونة انه استخدم كمركز لتجميع او تخزين المنتجات الزراعية كالحبوب ، والصناعية كالسكر (٥٢) ، استعداداً لتصديرها الى المراكز الحضرية الكبيرة كدمشق والقاهرة ومما يعزز ذلك ، وقوع كل من الشونة الشمالية والشونة الجنوبية على طرق تجارية . كما ان اصول هذه التسمية « الشونة » والتي جاءت من اللغة القبطية (٥٣) ، تدل بشكل واضح على استخدام مصطلحات جديدة في غور الاردن آتية مع نفوذ الامراء المماليك في المنطقة . وبذلك فان النشاط الزراعي والصناعي لقرى غور الاردن في العصر المملوكي ، كان من اهم العوامل التي أدت الى انتعاش الطرق التجارية المارة عبره .

ويبدو ان الطريق التجارية المباشرة بين القاهرة ودمشق قد انتعشت مرة اخرى مع زوال الخطر الصليبي عن وسط فلسطين . كما يستدل من تتبع المحطات الرئيسية الواقعة عليه ، ان هذه الطريق قد تحول مسارها من مرتفعات الجولان الى شمال الاردن . فانشأ السلطان المملوكي بيبرس سنة ٦٥٩ هـ / ١٢٦١ م على هذه الطريق مجموعة مراكز ، دعيت باسم محطات البريد (٥٤) ، ومع ان الهدف من انشاء هذه الطريق كان

عسكرياً أكثر منه تجارياً إلا أنها ساعدت في حماية التجار من الاعتداءات ، وفي رسم الطريق التجارية لاحقاً ، ومن هذه المحطات ما تطور ليصبح خاناً على هذه الطريق، التي دُعيت في نهاية العصر المملوكي وخلال العصر العثماني باسم درب القفول. نذكر من هذه المحطات بيسان ، والمجامع وزحر ، والطيبة ، واربد (٥٥) ويرى هارتمان، (٥٦) ان السلطان المملوكي بيبرس، اسس محطات البريد الى الجنوب والشرق من مناطق النفوذ الصليبي، والذين حتى فترة تأسيس خط البريد، يسيطرون على مدن الساحل الفلسطيني ومنطقة الجليل وبناء على ذلك يرى متمان (٥٧) ان محطات البريد هذه لم تنشأ على الطريق الروماني ، وانما اسست على طريق مباشر بين اربد وبيسان عبر غور الاردن ، ويرى هذا الباحث أيضاً، ان من بين المحطات الواقعة على طريق البريد في غور الاردن ، جسر الشيخ حسين ، وتل الاربعين ، ووقاص ، والقصير (الشونة الشمالية)، ومن ثم الى اربد بمحاذاة وادي العرب . وانتقلت هذه الطريق لاحقاً في نهاية القرن الرابع عشر والقرن الخامس عشر الى الشمال قليلاً حيث حدد القلقشندي (٥٨) معالمها بذكره للمحطات التجارية الواقعة عليها ، نذكر منها: عيون التجار ، الجسر (جسر الجامع) والقصير (الشونة الشمالية)، وزحر العقبة (وتسمى ايضاً زحر النصارى) واربد (انظر الخارطة رقم ١ ، الطريق رقم ٢). ويبدو ان انتقال الطريق التجاري للشمال قليلاً لتمر عبر زحر العقبة بدلاً من الطيبة ، كان سببه زوال الخطر الصليبي خلال هذه الفترة من ناحية ، ولتلافي الصعاب الناتجة عن مرور هذه الطريق عبر اراضي جبلية وعرة من ناحية ثانية .

ولتسهيل المرور عبر نهر الاردن ، اقيمت عليه في الفترة المملوكية عدة جسور ففي سنة ٦٦٤هـ / ١٢٦٥ م امر السلطان بيبرس ببناء جسر على نهر الاردن في منطقة دامية (٥٩) وبذلك نشط الخط التجاري المار عبر جنوب غور الاردن والواصل الى عمان ومن ثم الى دمشق عبر درعا . وأمر السلطان برقوق سنة ٧٨٤هـ / ١٣٨٢ م ببناء جسر اخر على نهر الأردن في المنطقة الواقعة بين الشونة الشمالية وبيسان (٦٠) وذكر العمري مجموعة جسور على نهر الاردن وتقع جميعها في غور الأردن الشمالي ، منها يعقوب الصنبرة ، والعادلي ، وسامات المقارن ، وجسر شامة (٦١) ، وتمكنت بعثة مسح غور الاردن عام ١٩٧٥ م من رصد بعض من هذه الجسور المدمرة ، منها بقايا جسر اعتقد انه يعود للعصر المملوكي، يقع على الطرف الجنوبي الشرقي لموقع مقام الشيخ حسين ، (الموقع رقم ٤٢) (٦٢) والواقع بين تل قدسية وبيسان .

وحدد القلقشندي وابن تغري بردي المحطات التجارية الواقعة على الطريق الموصل بين القاهرة ودمشق في القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين ، نذكر منها في غور الاردن بيسان والجامع والقصير، (٦٣) ولقد اهتم السلاطين والامراء

الممالك بهذا الخط التجاري وذلك لانه يمثل الخط التجاري المباشر والواصل بين حاضرتي السلطنة المملوكية، دمشق والقاهرة. فقد اسس هذا الخط التجاري الاخير واعتنى به الامير الدمشقي سيف الدين تنكز وكان ذلك سنة ٧٤١هـ / ١٣٤٠م

(٦٤) كما انشئت عليه الى جانب مجموعة من السور محطات تجارية عديدة (خانات) (٦٥). نذكر من هذه الخانات في غور الاردن، خان الاحمر في منطقة بيسان، الذي بناه الوالي الدمشقي سلار سنة ٧٠٨هـ / ١٣٠٨م (٦٦) وذراع الخان، الواقع على بعد ١٥ كم للجنوب الشرقي من مدينة الشونة الشمالية (٦٧).

شهد غور الأردن خاصة، و جنوب بلاد الشام عامة، في النصف الثاني من القرن الرابع عشر والقرن الخامس عشر الميلاديين، مجموعة عوامل سلبية، ادت الى ظهور تغييرات اساسية في اناط الإستيطان والانتاج الزراعي، نذكر منها، ضعف الدولة المملوكية عسكرياً واقتصادياً أدى الى قلة حماية المزارعين من غارات القبائل البدوية، وزيادة في نسبة الضرائب المدفوعة على الانتاج الزراعي (٦٨) الامر الذي ادى الى هجرة القرى الزراعية. كما ان الطواحين والحميات والابوثة اثرت بشكل مباشر على التعداد السكاني في بلاد الشام عامة، وغور الاردن خاصة حيث ادت هذه الابوثة التي حدثت ما بين ١٣٤٧ / ١٥١٦م الى انقاص التعداد السكاني في هذه المنطقة الى الثلث. ويشير الى ذلك صراحة المقريري، حيث سجل هذا المؤرخ ان الابوثة التي حدثت سنة ٧٤٣هـ / ١٣٨٢م، ادت الى افناء سكان الغور وعكا، وصفد، والقدس، ونابلس والكرك والبدو كما اهلك الطاعون، الذي حدث في سنة ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م الحيوانات البرية في غور الاردن ويذكر المقريري وابن تغري بردي ان الاسود، والحمر الوحشية، والذئاب، والخنازير، والارانب البرية، عثر عليها مطعونة ايضاً، ويبدو ان هذه الابوثة ادت الى انخفاض كبير في عدد المشتغلين في حقول قصب السكر، كما قلت الماشية المدربة في حرث الارض وادارة الطواحين مما ادى الى توقف انتاج السكر في غور الاردن في نهاية القرن الخامس عشر الميلادي.

ومما يدعم هذه الرؤية، ان وظيفة شاد السكر التي كانت موجودة في القرن الرابع عشر الميلادي في غور الاردن قد قلت اهميتها في القرن الخامس عشر الميلادي، لتدمج مع وظيفة ناظر الخاص (ناظر الاملاك السلطانية) (٧٣) كما ان استعراض سريع للمنتوجات الزراعية لقرى غور الاردن والعائدة لنهاية القرن السادس عشر الميلادي، والمسجلة في سجلات الدولة العثمانية تشير بشكل واضح الى عدم ذكر زراعة قصب السكر ضمن تلك المنتوجات (٧٤). كما ان تصدير مادة السكر وهو الانتاج الرئيسي لقرى غور الاردن في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين الى اوربا قد توقف (٥٧). وبدلاً من ذلك اخذت منطقة الشرق تستورده من قبرص وصقلية في القرن الخامس عشر الميلادي (٧٦).

كما شهدت منطقة جنوب بلاد الشام خلال القرن الخامس عشر الميلادي نشاطاً ملحوظاً لتحرك القبائل البدوية التي اخذت توسع اماكن تواجدتها باتجاه المناطق الزراعية . كما اخذت هذه القبائل البدوية تهدد طرق التجارة والحج المارة عبر جنوب بلاد الشام (٧٧). ويبدو ان القبائل البدوية قد احكمت سيطرتها على مناطق واسعة من جنوب بلاد الشام في القرن الخامس عشر الميلادي ، حيث يسجل المؤرخ ابن طولون تسيير حملات عسكرية لحاكم مدينة دمشق المملوكي ضد القبائل البدوية المتواجدة في حوران والزرقاء وشمال غور الاردن. ويشير المقرئزي بشكل مباشر ، ان القبائل البدوية هاجمت غور الاردن في عام ٧٥٠هـ / ١٣٤٩ م ووصلت الى القصير (الشونة الشمالية) حيث قتلت عددا من العمال المشتغلين بتصنيع السكر ، ونهبت ما عثرت عليه من هذه المادة وهددت طرق المواصلات التجارية الواصلة بين دمشق والقاهرة (٧٩).

ويبدو ان انخفاض التعداد السكاني الناتج عن الطواعين والابوثة المتكررة وفقدان الامن ، وزيادة الضرائب على مزارعي غور الاردن في العصر المملوكي المتأخر كانت من اهم الاسباب التي ادت الى مايلي : اولاً تغير في اقتصاد قرى غور الاردن من اقتصاد تجاري يقوم اساساً على الزراعة الصناعية (زراعة قصب السكر) الى زراعة الاكتفاء الذاتي ، وثانياً ظهور تحول في سير خطوط الطرق التجارية المارة عبر شمال غور الاردن. ويبدو ان فقدان الامن على الطريق المارة عبر شمال الاردن ، والتغير الذي حل في طبيعة الانتاج الزراعي والصناعي في مناطق مرور هذه الطرق (شمال غور الاردن وحوران) الذي لم يعد انتاجاً تجارياً كانت من اهم العوامل التي ادت الى تغيير مسار الطريق الرئيسي الواصل بين دمشق والقاهرة حيث يعتقد هارتمان ان الخط التجاري المار عبر بيسان فالمجامع فزحر ، فاربد استبدل بخط تجاري اخر في الفترة الواقعة بين ١٤٧٠ — ١٧٠٠ م وكانت الطريق التجارية الجديدة تمر بهضبة الجولان عبر فيق ، وجسر بنات يعقوب ، وصفد (٨٠). كما ان طريق الحج التجارية الواصلة بين القدس واريحا وعمان قد تبدل مسارها هي الاخرى خلال هذه الفترة لتتخذ مساراً يتجه نحو الجنوب من البحر الميت (٨١).

صاحب الحكم العثماني لمنطقة جنوب بلاد الشام في القرن السادس عشر الميلادي بعض الاستقرار ، وشكلت المنتجات الزراعية عماد اقتصاد قرى الاردن (٨٢)، وبالمقابل شهدت فلسطين زيادة سكانية واستقرار امني ومدني (٨٣) ومن اجل حماية طريق الحج الواصل بين دمشق ومكة ، والمار عبر شرقي الاردن ، انشأت الدولة العثمانية في القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين سلسلة من الحصون العسكرية نذكر منها ضبعة والقطرانة والحسا والعنزة ومعان وفاصوغة ،

والمدورة (٨٤). وساعد وجود مثل هذه القلاع على حماية التجار والحجاج ، كما شجع على الاستقرار في المناطق الداخلية من الاردن والاشتغال بالزراعة (٨٥). وبناء على دراسة سجلات ضرائب الدولة العثمانية والعائدة لنهاية القرن السادس عشر الميلادي رصدت ست عشرة قرية في غور الاردن وقد مثل انتاجها الزراعي كالقمح والشعير والنيلة عمادها الاقتصادي (٨٦) ولكن يبدو ان تأثير سيطرة القبائل البدوية على غور الاردن منذ نهاية العصر المملوكي ، قد استمر ايضا في نهاية القرن السادس عشر الميلادي ، ويستدل على ذلك من خلال وصف سجلات ضرائب الدولة العثمانية لبعض قرى غور الاردن كالمخيبة وبيت رامة (الرامة) وحة جور (حة الغور) على انها خربة ومهجورة (٨٧). ولعل نمط الاستيطان في بعض قرى غور الاردن خلال القرن السادس عشر الميلادي قد تحول من مستقر دائم الى نصف مستقر حيث يظهر ان تربية الماشية اخذت تشكل جزءاً هاماً من اقتصاد قرى غور الاردن خلال هذه الفترة (٨٨).

ويبدو ان الطريق التجارية الجديدة المارة عبر هضبة الجولان، جسر بنات يعقوب وصفد، كانت هامة للدولة العثمانية ، وذلك لأنها تمثل الطريق الرئيسة والواصلة بين القسطنطينية (العاصمة) ، ودمشق والقاهرة ، ولذلك اقيمت عليها مجموعة من المحطات التجارية ومحطات البريد ، نذكر منها خان التجار، بالقرب من بحيرة طبريا (٨٩). ويبدو ان السير على هذه الطريق في نهاية القرن السادس عشر الميلادي لم يكن آمناً ايضاً، اذ تذكر لنا بعض الوثائق العثمانية ان اهم محطة على هذه الطريق ، خان عيون التجار ، اصبحت مكاناً لالتقاء اللصوص والبدو (٩٠). ولذلك اسست على هذه الطريق قلاع عسكرية نذكر منها قلعة خان التجار بالقرب من مدينة طبريا ، والتي بناها حاكم مدينة دمشق ، سنان باشا عام ١٥٨١ م (٩١) واكد هذا الامر الرحالة العربي، عبد الغني النابلسي ، الذي بدأ رحلته من دمشق الى القدس في يوم الاثنين في ١٧ جمادى الثانية سنة ١٠١٠ هـ / آذار سنة ١٦٩٠ م، عبر داريا وخان الشيخ وقرية سعسع ، والقنيطرة وجسر بنات يعقوب وجب يوسف وخان المنية وخان التجار ، وقرية الناعوة وقرية جلمة، وجنين ذوعرابة ، ونابلس وعورتا ، وجماعين . ومردا وعقبة اللبن والبيرة والشيخ جراح ، والقدس. وذكر هذا الرحالة ان كثيراً من الخانات التي صادفها في طريقه كانت خالية او خربة، خاصة تلك المتواجدة في منطقة طبرية وان الطريق في منطقة الحولة في غاية الخطورة (٩٢).

ويبدو ان سياسة القادة الادارين المحليين في فلسطين كظاهر العمر (١٧٥٠ — ١٧٧٥ م) واحمد الجزار (١٧٧٧ — ١٨٠٤ م) في حماية القرى الزراعية الواقعة في شمال وسط فلسطين هي الاخرى قد اكدت تواجد القبائل البدوية كالسردية والصقر ، وصخور الغور في شمال غور الاردن (٩٣). الا ان نفوذ هذه القبائل قد وصل الى وسط فلسطين في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي (٩٤).

ويظهر ان الطريق التجارية الفرعية المارة عبر شمال غور الاردن في الفترة الممتدة بين القرن السادس عشر والقرن الثامن عشر الميلادي ، كانت غير آمنة ولذلك لم تذكر من قبل المؤرخين والرحالة. ويشير بعض الرحالة صراحةً ان الطريق القديمة والمباشرة الواصلة بين دمشق والقدس عبر شمال الاردن كانت خطرة ولذلك استخدمت الطريق المارة عبر الجولان ، وجسر بنات يعقوب، والجليل (٩٥). وعلى الرغم من ذلك فان هنالك دلالات واضحة على ان جميع طرق المواصلات المارة عبر الجولان وفلسطين خطرة ايضاً، وان انتقال التجار والحجاج ، والرحالة من محطة الى اخرى يتم بحراسة القوات العسكرية العثمانية (٩٦). كما وصف الرحالة عبد الغني النابلسي ، الذي زار القدس في عام ١٦٩٠م محطة خان عيون التجار على انها محطة رئيسة على درب القفول . الا ان الحالة الامنية في هذه المنطقة — طبريا — هي في غاية الخطورة ، وان الوقف المجاور لهذه المحطة مدمر وان الطعام في هذه المنطقة قليل، ومن اراد الموت فليأت لهذا المكان (٩٧). كما وصف الرحالة الاوروبي ساندرسون الذي زار فلسطين عام ١٦٠١م هذه الحالة الامنية السيئة ايضاً (٩٨).

يعتبر الرحالة عبد الغني النابلسي اول من اشار الى تسمية درب القفول ، الواصل بين محطة عيون التجار فالجامع ، فالشونة الشالية فزحر فاربد (انظر الخارطة رقم ١ الطريق رقم ٢). كما ذكر هذه الطريق، بنفس التسمية في القرن التاسع عشر الميلادي الرحالة الاوربي شوماخر (٩٩). ويبدو ان الطريق الواصلة بين محطة عيون التجار وجسر المجامع يتفرع الى فرعين الاول يتجه نحو الحمة وام قيس واربد وتدعى هذه الطريق باسم درب الحوارنة (١٠٠) (انظر الخارطة رقم ١ الطريق رقم ٣). اما الفرع الثاني فيتجه من عيون التجار فجسر الجامع فالشونة الشالية ، فزحر ، فاربد، وتدعى هذه الطريق باسم درب القفول. ويبدو ان الطريق الاول درب الحوارنة كان أكثر شهرة واستعمالاً من الطريق الثانية، في العصر العثماني المبكر (القرن السادس عشر — القرن الثامن عشر الميلادي). ومما يدل على ذلك تأسيس اسواق تجارية على هذا الدرب في القرن السادس عشر الميلادي ، نذكر منها سوق حبراص (١٠١). كما اسست على هذه الطريق محطة مكوس لجمع الضرائب المستحقة على المسافرين والتجار. ولقد اسست هذه المحطة في مدينة ام قيس الاثرية والتي اخذت اسمها هذا نسبة الى ضريبة المكوس بدلاً من اسمها القديم جدر (١٠٢). كما سلك هذه الطريق بعض الرحالة الاوروبيين في القرن التاسع عشر الميلادي للوصول الى منطقة اربد مثل بيركهاردت (١٠٣). ومن خلال تتبع المواقع التي ذكرها هذا الرحالة بين جسر المجامع واربد ، يمكننا تتبع اهم المحطات الواقعة عليه وهي : ام قيس ، وآبيلا (حرثا) وعين تراب ، وحبراص ، واربد .

ويجدر بالقوافل التجارية الآتية من سهول حوران ومنطقة عجلون والمحملة بالحبوب، ان تسلك طريق الحوارنة الى الطريق الاساسي المار بفلسطين نحو القاهرة ودمشق والموانئ الفلسطينية وذلك لوجود محطة مكوس (ام قيس) بينما تسلك هذه القوافل في طريق عودتها درب القفول وذلك لسهولة وعدم حاجتها لدفع ضريبة المكوس، ويعتقد بان هذه الطريق، اعتماداً على الدراسة اللغوية الدلالية، سميت بدرب القفول، لان التاجر يقفل راجعاً عبرها من حيث أتى.

وبالرغم من عدم ذكر اسم درب القفول في المصادر الكتابية العائدة للقرن السادس عشر الميلادي الا ان هناك دلائل لغوية وأثرية تشير الى استخدامه في العصر العثماني، رغم خطورة السير عليه. وقد اسست الدولة العثمانية محطات ثابتة على طرق التجارة، يدفع فيها المسافرين والتجار، ضرائب حماية تدعى «باج غفر»، وان الدراسة اللغوية الدلالية لوادي الغفر، الواقع على درب القفول، قبل الوصول الى مدينة اربد من الناحية الغربية مباشرة (١٠٤) تدل على ان محطة باج غفر كانت موجودة في هذا الوادي. وان هذا الوادي اخذ اسمه «وادي الغفر» المتداول حالياً، في الفترة العثمانية نسبة الى اسم هذه الضريبة (١٠٥) كما تشير المكتشفات الاثرية في منطقة درب القفول على ان هذه المنطقة قد استمر الإستيطان فيها من العصر المملوكي الى العصر العثماني، حيث امكن التعرف على محطات حضارية عائدة للعصر العثماني في عدة مواقع. في منطقة وادي العرب المحاذي لدرب القفول من الناحية الشمالية، بالاضافة الى تسجيل عدد من الطواحين عليه والتي كانت تستخدم لطحن الحبوب (١٠٦). كما عثر على عدد من الطواحين في موقع قم تعود للعصر العثماني (١٠٧).

وكمحاولة من الدولة العثمانية لاحكام سيطرتها على غور الاردن في القرن الثامن عشر الميلادي، فقد قسم ادارياً الى ثلاثة أقسام: الاول ويشمل المنطقة الشمالية من غور الاردن (المنطقة الممتدة من نهر اليرموك شمالاً الى وادي الجرم جنوباً) ويتبع عمل بيسان وثم المنطقة الوسطى (ويشمل المنطقة الممتدة من وادي الجرم شمالاً الى نهر الزرقاء شمالاً الى البحر الميت جنوباً) ويتبع عمل البلقاء ونابلس (١٠٨)، ولكن لم يقف الكاتب على اي دليل اثري او وثائقي يدل على وجود استقرار قروي ثابت في غور الاردن خلال هذه الفترة واستمر هذا الحال في بداية القرن التاسع عشر الميلادي، حيث بالرغم من اصلاحات ابراهيم باشا (١٨٣١ - ١٨٤١ م) الادارية والزراعية في منطقتي الحولة وبيسان (١٠٩). لم تظهر قرى زراعية ثابتة في غور الاردن ويبدو ان من اهم الاسباب المؤدية الى ذلك هو تعاظم قوة القبائل البدوية المستقرة في غور الاردن حيث انها ثارت ضد ابراهيم باشا (١١٠) وافشلت مشاريعه وزادت قوة القبائل البدوية بعد رحيل ابراهيم باشا عن بلاد الشام في عام ١٨٤١. حيث هاجمت القرى الزراعية في منطقة عجلون وحوران وهددت طرق التجارة (١١١).

وعلى ذلك يعتقد كارمون (١١٢) ان الطريق التجارية المارة عبر شمال غور الاردن «درب القفول» كانت غير مستعملة في نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر الميلادي وبدلاً منها استخدمت الطريق المارة عبر جسر المجامع، فالحمة فأم قيس، فأريد (درب الحوارنة).

ويبدو ان حالة الفوضى التي شهدتها جنوب بلاد الشام عامة، والأردن خاصة بعد رحيل قوات ابراهيم باشا عن بلاد الشام، دفعت الحكومة العثمانية الى ارسال قواتها العسكرية للسيطرة عليها وبشكل عملي. واستطاعت هذه القوات من السيطرة على الأردن من شماله الى جنوبه ما بين عام ١٨٥٠ وعام ١٨٩٣ (١١٨) وتمكنت هذه القوات بمساعدة القرويين من منطقة عجلون من الحاق هزيمة كبيرة بالقبائل البدوية (صخور الغور وعرب السعدية) المتمركزة في شمال غور الاردن (١١٤) ومع هذا الانتصار العثماني ظهر استقرار عام في المنطقة، وساعد على تثبيت هذا الاستقرار انشاء سكة حديد الحجاز المارة عبر شرقي الاردن (١١٥).

وظهر في القرن التاسع عشر الميلادي حاجة ماسة للحبوب في الأسواق الأوروبية (١١٦) وكنتيجة لهذه الحاجة ولإستتباب الامن في المنطقة، زرعت مساحات واسعة من سهول حوران والغور، بالحبوب (١١٧). ونتيجة لارتفاع درجة الحرارة في الغور فان الحبوب المزروعة فيه تنضج قبل تلك المزروعة في سهول حوران، وبالتالي يحصل مزارعو الأغوار على أسعار مرتفعة (١١٨). ولقد نشأ عن هذا النشاط الزراعي ان اخذت قرى غور الاردن بالظهور في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي، ابتداء من المنطقة الشمالية ومن هذه القرى العدسية، والشونة ومعاذ، وعراق الراشدان والقليعات، وتل الاربعين (١١٩)، وبذلك عادت الى غور الاردن منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر الزراعة التجارية المتمثلة بزراعة الحبوب لقد شاهد الرحالة الاوروبيين الذين زاروا غور الاردن خلال هذه الفترة حقول القمح المزروعة فيه (١٢٠)، ونتيجة حتمية للنشاط الزراعي التجاري، فقد عادت الحياة مرة اخرى للطرق التجارية المارة عبر شمال غور الاردن. ونخص منها بالذكر درب القفول الذي استعمل بشكل مكثف في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين للوصول الى سهول حوران الخصبة، والى سكة الخط الحديدي الحجازي، (١٢١) والتي وصفها الرحالة شوماخر، بانها الطريق الاساسية لنقل الحبوب من سهول حوران وجبل عجلون الى موانئ حيفا وعكا، اذ كانت القوافل تنقل عليها ما بين ٨٠.٠٠٠ — ١٠٠.٠٠٠ طن من الحبوب سنوياً (١٢٢)، وبقيت هذه الطريق نشطة الاستعمال حتى عام ١٩٤٨، حيث قطعت مع الاحتلال الاسرائيلي لفلسطين.

موقع ذراع الخان كشاهد مادي على درب القفول :

سجل الاثاريون الذين مسحوا منطقة غور الاردن عام ١٩٨٥ م . موقعاً أثرياً بالقرب من ضريح معاذ بن جبل، على بعد ١٥ كم للجنوب الشرقي من بلدة الشونة الشمالية، يدعى ذراع الخان، ووصفت المخلقات المعمارية الظاهرة على السطح بأنها منشأة معمارية كبيرة، اعتقد انها تمثل خاناً يعود الى الفترة المملوكية، او العثمانية (١٢٣)، وارخت الشقف الفخارية الملتقطة عن السطح الى الفترات الاموية، والايبوية، المملوكية، العثمانية، (١٢٤) كما سجل بيركهارت، إن القريتين الوحيدتين اللتان كانتا مأهولتين في شمال غور الاردن وقت زيارته لمنطقة شمال فلسطين في عام ١٨١٢ م هما، تل الاربعين، ومعاذ (١٢٥). وسجل وجود بقايا خان يقع بالقرب من قرية معاذ (١٢٦). وزار الرحالة شوماخر، قرية معاذ، وقدر عدد سكانها بمائة واربعين نسمة، ولاحظ من هذه القرية وان هناك بقايا اثار لم تكشف بعد، ومن اجل تحديد تاريخ هذه المنشأة وتوضيح وظيفتها أجري في هذا الموقع حفرة اثرية في الفترة الممتدة بين ١١/٢ — ١٠/١٢/١٩٩٤ م (١٢٨).

وقد تبين ان هذه المنشأة المعمارية مستطيلة الشكل (٦٢ر٥) م شمال / جنوب × ٨٤ر٥ م (شرق / غرب) وباضلاع متوازية تحتضن مساحة وسطية مكشوفة (٥٣) م شمال / جنوب × ٦١ م (شرق / غرب) وظهر على طرفها الشمالي الشرقي والشمالي الغربي ابراج مربعة الشكل، (١٢٩) وبنيت الجدران الرئيسة لهذه المنشأة بصفين من الحجارة الجيرية المشذبة . واستخدم الملاط الجيري في تثبيتها، وبلغ عرض هذه الجدران ١٢٠ سم استندت الى دعائم حجرية مربعة الشكل . أما الحجارة البازلتية فقد استخدمت في بناء مرافق البوابة الواقعة في منتصف الجناح الشمالي . وعثر على اعدادا كبيرة من الشقف الفخارية الخاصة بجرار التخزين في الجناح الشمالي، مما يوحي بان الحجرات المجاورة للمدخل استخدمت لاغراض التخزين ويعتقد بان الحجرات المستطيلة التي عثر عليها في الجناح الشرقي استخدمت لاغراض السكن . اما الجناحان الجنوبي والغربي فلم يتمكن من التعرف على طبيعة استعمالها .

عثر في هذا الموقع على ١٢٤ قطعة، عملة/ النقطة ١٧ منها عن السطح وتراوح تاريخ قطع العملة التي وجدت في طبقات اثرية ما بين فترة حكم السلطان المملوكي قلاوون (١٢٨٠ — ١٢٩٠ م) والسلطان جقمق (١٤٣٨ — ١٤٥٣ م) .

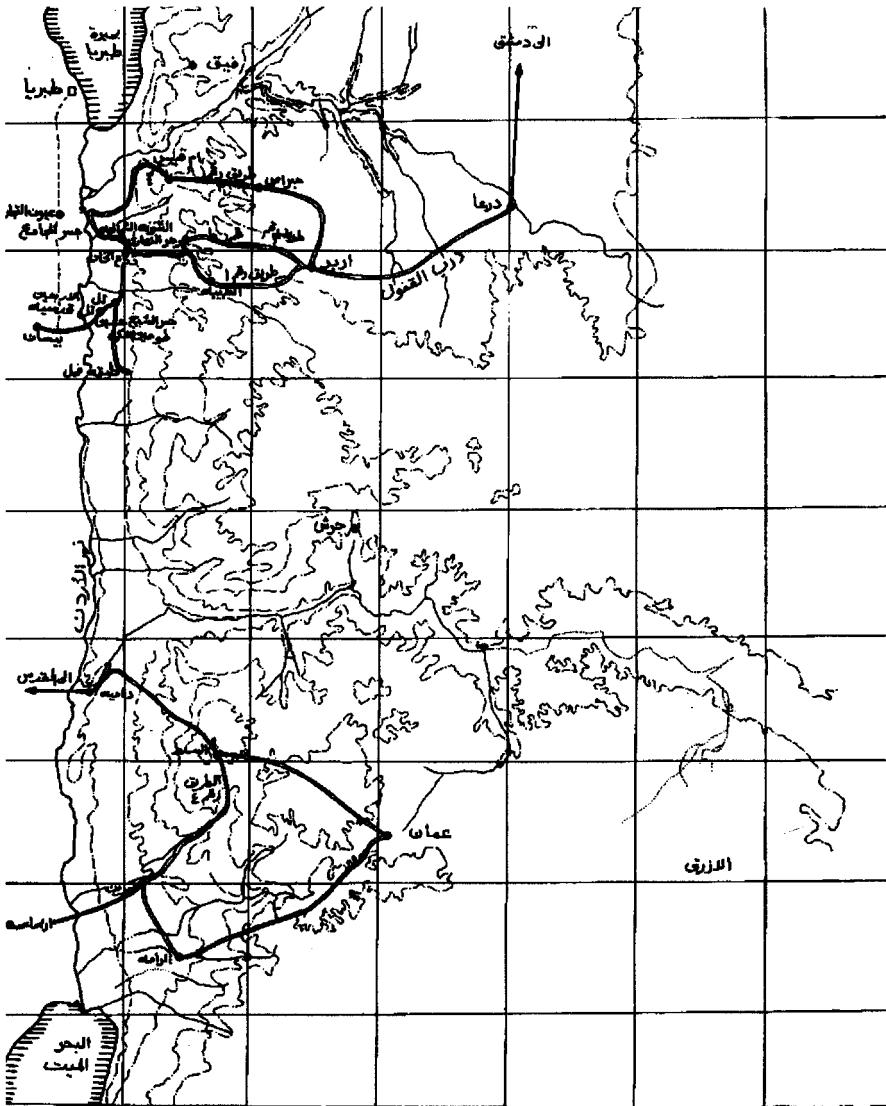
وعثر فوق هذه الطبقات الاثرية على حجارة ساقطة، وقد غطت جميع مربعات الحفر . ويعتقد بان هذه المنشأة المعمارية قد هدمت بحدود ١٤٥٣ م، وذلك اعتماداً على التاريخ المتأخر لقطع العملة التي عثر عليها في طبقات اثرية في الموقع . ويتوافق هذا التاريخ مع زلزال حدث في سنة ١٤٥٦/١٤٥٧ م، كان له اثر تدميري واضح على

المنطقة (١٢٠)، واما قطع العملة التي تعود الى فترات متأخرة كفترة السلطان قانصوه الغوري (١٥٠١ - ١٥١٦م) والسلطان العثماني مراد الثالث (١٥٧٤ - ١٥٩٥م) فقد جاءت عن سطح الموقع .

اعتماداً على دراسة المخلفات الأثرية التي وجدت على الارضيات، وعلى الاختلافات الموجودة في الطرز المعمارية من حيث الإضافات، وقطع الحجارة فان هذه المنشأة المعمارية (الخان) قد بنيت، او أعيد بناؤها في مرحلتين: تعود الاولى الى فترة السلطان قلاوون، (١٢٨٠ - ١٢٩٠م)، والثانية الى الفترة الثالثة من حكم السلطان الناصر محمد (١٣١٠ - ١٣٤١م).

يبرز العثور على شقف فخارية مستوردة من سورية ومصر وبلاد فارس، والعثور على قطعتي عملة صليبية، وقطعة عملة إلخانيّة، اهمية هذا الموقع على خطوط التجارة في الفترة المملوكية . كما تشير الدلائل الأثرية كالعثور على قطع عملة تعود لفترة حكم السلطان العثماني مراد الثالث (١٥٧٤ - ١٥٩٥م)، والعثور على شقف فخارية ضمن طبقات أثرية هي اقرب للسطح، مختلفة في تقنياتها عن تلك التي تعود للفترة السابقة المملوكية الى ان هذا الموقع استخدم في الفترة العثمانية ايضاً . ويؤكد ذلك التاريخ المتداول لدى السكان المحليين . ولكن لم يعثر على انشاءات معمارية تعود للعصر العثماني، وعلى ذلك يعتقد ان هذا الموقع استعمل في العصر العثماني، كمحطة استراحة قصيرة، حيث يتواجد بالقرب منه نبع ماء ومسجد الصحابي الجليل معاذ بن جبل، كما يحتمل ان هذا الموقع قد استخدم كأحد الاسواق المكشوفة على الطريق التجارية المارة بغور الاردن.

يستدل من هذا الإستعراض التاريخي والأثري، ان درب القفول المار عبر شمال الاردن يمثل احدى الطرق التجارية الرئيسة في العصر المملوكي للربط بين حاضرتي السلطنة المملوكية، دمشق القاهرة . وهناك دلائل أثرية وتاريخية واضحة، تدل على ان اصول هذه الطريق تعود للعصر العباسي، واستخدمت كطريق للبريد في العصر المملوكي المبكر . وقد مثل موقع ذراع الخان، الذي كشف عنه مؤخراً، احدى المحطات الرئيسة الواقعة عليه في شمال غور الاردن . وقد نشطت الحركة التجارية على هذه الطريق في ظل وفرة الانتاج الزراعي / الصناعي (قصب السكر) في العصر المملوكي، او الزراعي التجاري (الحبوب) لقري غور الاردن في العصر العثماني المتأخر . ويبدو ان فقدان الامن والانتاج الزراعي القائم على مبدأ الاكتفاء الذاتي في نهاية العصر المملوكي وبداية العصر العثماني، كان من شأنها تغيير سير الخطوط التجارية الاساسية نحو الشمال لتمر بهضبة الجولان وشمال فلسطين . وبالرغم من ذلك، بقيت هناك طرق تجارية فرعية (درب الحوارنة ودرب القفول) استعملت في العصر العثماني المبكر، وتوصل بين سهول حوران الخصبة وجبل عجلون مع الطريق الأساسية عبر محطة عيون التجار . وكان لاستمرارية استعمال هذه الطرق التجارية اثر واضح في استمرارية تواجد وانتعاش القرى الزراعية في شمال غور الاردن .



خارطة توضح الطرق التجارية المارة في غور الاردن

المراجع

- ١— انظر الخارطة رقم ١ / ١، الطريق رقم ٢ / ٢ .
- ٢— الاصطخري (اسحق بن ابراهيم). المسالك والممالك. تحقيق محمد جابر عبد العلي الحني، القاهرة، ١٩٦١ . ص ٤٥، سيشار إليه عند وروده فيما بعد هكذا: الاصطخري، المسالك والممالك.
- ٣— ابن الفقيه، (أبو بكر أحمد بن محمد الهمداني). مختصر كتاب البلدان، تحقيق م. ج. كويج. ليدن، ص ٥٦، سيشار إليه عند وروده فيما بعد هكذا: ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان.
- ٤— ابن حوقل (أبو القاسم عبد الله بن عبد الله). كتاب صورة الأرض، ج ١. تحقيق م. ج. كويج. ليدن، ١٩٦٧ . ص ١٨٠ . سيشار إليه عند وروده فيما بعد هكذا: ابن حوقل، كتاب صورة الأرض.
- ٥— المقدسي (محمد بن أحمد). أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم. تحقيق م. ج. كويج. ليدن، ١٩٦٧ . ص ١٨٠ . سيشار إليه عند وروده فيما بعد هكذا: المقدسي، أحسن التقاسيم.
- ٦— الادريسي (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن إدريس الحساني). أنس المهج وروض الفرج. فرانكفورت، ١٩٨٤ . ص ١٥٥، ٣٥٩، سيشار إليه عند وروده فيما بعد هكذا: الإدريسي، أنس المهج.
- ٧— الادريسي، أنس المهج. ص ٣٧٧ .
- ياقوت، (شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي). معجم البلدان، ج ٢، طهران، ١٩٦٥، ص ٢١٧ . سيشار إليه عند وروده فيما بعد هكذا: ياقوت، معجم البلدان.
- Le Strange, Guy. Palestine Under The Muslims. London: Palestine Exploration Fund. 1965. P. 15.
- Le Strange, G. 1965: سيشار إليه عند وروده فيما بعد هكذا.
- ٨— ابن خرداذبة (أبو القاسم عبيد الله). كتاب المسالك والممالك. تحقيق قدامة بن جعفر. بغداد، ١٩٦٧ . ص ٩٤ . سيشار إليه عند وروده فيما بعد هكذا: ابن خرداذبة، كتاب المسالك والممالك.
- ٩— الادريسي، أنس المهج. ص ٣٥٧، ٣٦٣، ٣٧٧ .

- ١٠- الادريسي، أنس المهج. ص ٣٥٥، ٣٧٧.
الاصطخري، المسالك والممالك. ص ٤٣، ٤٥.
ابن حوقل، كتاب صورة الأرض. ج ١. ص ١٧٠، ١٨٥.
المقدسي، أحسن التقاسيم. ص ١٨٥.

11- IBRAHIM, M; Sauer, J . And Yassine, K. "the East Jordan Valley, 1975" Bulletin Of American School Of Oriental Research(BASOR), Vol. 22. Atlanta: Scholars Press. 1976. Pp. 48-50, 62. Ibrahim; M. et al. 1976. سيشار إليه عند وروده فيما بعد هكذا:

Yassine, K; Ibrahim, M. And Sauer, J. "the East Jordan Vally Surey, 1976". Archaeology Of Jordan: essays And Reports. ed. K. Yassine. Amman; 1988. Pp. 157-208.

سيشار إليه عند وروده فيما بعد هكذا: Yassine, K. et al. 1988.

١٢- كريم (جمعة محمود). المسح الأثري لمنطقة سليخات في غور الاردن. بحث مقدم لمجلة دراسات الجامعة الأردنية، ١٩٩٤، غير منشور، سيشار إليه عند وروده فيما بعد هكذا: كريم، المسح الأثري لمنطقة سليخات.

Kareem, J. Evidece Of The Umayyad Occupation In The Jordan Valley As Seen In The Jisr Sheikh Hussein Region. MA The Thesis. Institute Of Archaeologe And Anthropology- Yarmouk University. 1987. P. 451.

سيشار إليه عند وروده فيما بعد هكذا: Kareem. J. 1987.

Kareem. J. "EVIDENCE Of The Umayyad Occupation In The Jordan Valley As Seen In The Djir Shaykh Husayn Region". Studies On The History Of Bilad Al-sham During The Umayyad Period. ed. Muhammad A. Bakhit And Mo-hammad Y. Abbadi. Amman, 1990, P.47.

سيشار إليه عند وروده فيما بعد هكذا: Kareem, J. 1990.

كريم (جمعة محمود). «المسيح الأثري لمنطقة جسر الشيخ حسين: الاغوار الشمالية لعام ١٩٨٦». أبحاث اليرموك، سلسلة العلوم الانسانية والاجتماعية، المجلد السادس، العدد الأول، جامعة اليرموك، ١٩٩٠، ص ١٣٣. سيشار إليه عند وروده فيما بعد هكذا: كريم، المسيح الأثري لمنطقة جسر الشيخ حسين. ١٤ - المقدسي، أحسن التقاسيم. ص ١٨٤.

Le Strange, G. 1965. P. 184.

١٥ - المقدسي، أحسن التقاسيم. ص ١٨٤.
١٦ - أبو الفداء (عماد الدين اسماعيل بن محمد). تقويم البلدان. باريس، ١٨٤٠، ص ٢٢٣. سيشار إليه عند وروده فيما بعد هكذا: أبو الفداء. تقويم البلدان.
ابن شداد (عن الدين أبو عبد الله محمد بن علي). الاغلاق الخطيرة في ذكر أطوار العالم والحجوز (تاريخ لبنان والاردن وفلسطين). تحقيق سامي الدملوجي، دمشق، ١٩٧٢، ص ١٣٦. سيشار إليه عند وروده فيما بعد هكذا: ابن شداد. الاغلاق الخطيرة.
القزويني (ذكريا بن محمد بن محمود). آثار البلاد وأخبار العباد. بيروت - دار صادر، ١٩٦٩، ص ١٤٢. سيشار إليه عند وروده فيما بعد هكذا: القزويني، آثار البلدان وأخبار العباد.
القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي). صبح الأعشى في صناعة الإنشاء. ج ٤، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، ١٩٦٧، ص ٨٧. سيشار إليه عند وروده فيما بعد هكذا: القلقشندي، صبح الأعشى.

ياقوت (شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي) المشترك وقعاً والمفترق ضعفاً. تحقيق فيردناند فوستفيلد. جوتنجن، ١٨٤٦. ص ٢٢٨. سيشار إليه عند وروده فيما بعد هكذا: ياقوت، المشترك وقعاً.

Hartmann, R. "Die Strasse VON Damaskus Nach Kai-
ro". Zeitschrift Der Deutschen Morgenlandischen Ge-
sellschaft, (ZDMG). Vol. 64. Leipzig, 1910. Pp. 675-676.

Hartmann, R. 1910. سيشار إليه عند وروده فيما بعد هكذا.

١٨ - المقدسي، أحسن التقاسيم. ص ١٩٢.

19- Frank L. Kouchy. "The Environs Of Pella: ROADS;
FORDS And Occupational Sites " , Pella In Jordan 2. Ed Mc
Nicoll, A. Edwards, P. ; Hanbury- Tenison, J.; Hennessy ,
B.; Potts, Smith, R.; Walmsely, A. And Wason, P. Sydney,
1992. P.200.

سيشار إليه عند وروده فيما بعد هكذا: Kouchy, F . 1992.

20- Kareem, J. 1987. Pp . 444-459.

Kareem, J. 1990. Pp . 44-49.

21-IBRAHIM, M. Et Al. 1976. P. 59.

Mittmann, S. Beithrage Zur Siedlungs Und Territorialgeschichte Des Nordlichen Ostjordanlandes. Wiesbaden, 1970. Pp.137-138.

Mittmann, S. 1970. سيشار إليه عند وروده فيما بعد هكذا:

22- Mcnicoll, Q.; Edwards, P.; Hosking, J.; Macumber, P.; Walmsely, A And Watson, P.; "Preliminary Report On The University Of Sydney`s Seventh Season Of Excavations At Pella (Tabagat FAHL) , 1985" Annual Of The Department Of Antiquities Of Jordan, (ADAJ), Vol. " Abbasid Fahil, The Mamluk And Early Ottoman Periods" . AKKADICA. Vol. VIII . Pp. 430-440.

23- Kareem, J. 1987. P. 94, 104, 112.

Kareem, J. 1990. Pp. 40-42.

٢٤- الطراونة (فايز عبد الحافظ). موقع قم في ضوء الأعمال الميدانية: دراسة تحليلية مقارنة. رسالة ماجستير غير منشورة. معهد الآثار والانثروبولوجيا — جامعة اليرموك. ١٩٩٠، ص ١٦٤.

25- Hanbury - Tenilson, J.; Steven , H.; Watson, P . Falkner , R. " Wadi Arab Survey 1983" . Annual Of The Department Of Antiquities Of Jordan, (ADAJ) Vol . 28, Amman, 1984. Pp.313-314.

Hanbury - Tenison, et Al . 1984 سيشار إليه عند وروده فيما

بعد هكذا:

٢٦- المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ١٧٤.

27- Smail , R. The Cruaders in Syria And in The Holy Land. Thames And Hudson, 1973. Pp. 9-38.

- سيشار إليه عند وروده فيما بعد هكذا: **Smail, R. 1973.**
- Müller - Weiner, W.** Castles Of The Crusaders. New York, 1966.
- سيشار إليه عند وروده فيما يلي هكذا: **Müller - Weiner, 1966.**
- 28- **Smail , R. 1973. P . 100.**
- Beyer , G. " Civitus Ficum". Zeitschrift Des Deutschen PalAstina - Vereins. Vol. 69. Wiebaden. 1953.p . 67.**
- ٢٩— ابن اياس (محمد بن أحمد). بدائع الزهور في وقائع الدهور. ج ١. تحقيق محمد مصطفى. القاهرة، ١٩٦٠، ص ٢٨. سيشار إليه عند وروده فيما بعد هكذا: ابن اياس، بدائع الزهور.
- 30- **HARTMANN , R. 1910, P. 683.**
- 31- **Zayadine , F. " Caravan Routes Between Egypt And Nabataea And The Voyage Of Sultan Baibars to Petra In 1276." Studies on The History And Archaeology Of Jordan , Vol. 11. Ed . Hadidi, A. Amman, 1985. P. 161.**
- 32- **Hartmann, R. 1910, P. 683.**
- ٣٣— الادريسي، أنس المهج، ص ٢١.
- ياقوت، معجم البلدان. ج ١. ص ٢٧٦—٢٧٧.
- ٣٤— ياقوت، معجم البلدان. ج ٢. ص ٦٥٧.
- 35- **Kareem , J. The Settlement Patterns In The Jordan Valley In The Mid- to Late Islamic Periods . Ph. D. Thesis . FREI Universitat Berlin , 1992. P . 32 .**
- Kareem, J. 1992.** سيشار إليه عند وروده فيما بعد هكذا:.
- ٣٦— القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص ٩٥.
- ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ص ١٣٦.
- ٣٧— القلقشندي، صبح الأعشى، ج ١٤. ص ٣٨٠.
- 38- **Henninger , J . " Pariastamme In Arabien " , Arabica Varia . Schweis Orbis Biblicus Orientalis , 910, Gottingen , 1989. Pp. 244-246.**

٣٩- المنويري (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب) . نهاية الار ب في فنون الأدب.. ج ٨ ، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، ١٩٧٥ ، ص ٢٧٠ .

40- Ibrahim, M. et Al. 1986. Pp. 48- 50.

Yassine, K. Et Al. 1988. Pp.

41- Ibrahim, M. et AL. 1976. P. 59.

42- Kareem, J. " Tell Fendi : Jisr Sheikh Hussein Project, 1986." Annual Of The DEPARTMENT Of Antiquities Of Jordan. Vol. 33. Amman, 1989. Pp. 97-100.

Kareem, J. 1989. سيشار إليه عند وروده فيما بعد هكذا.

٤٣- كريم (جمعة محمود) . المسح الأثري لمنطقة سليخات.

٤٤- حمارة، صالح زراعة قصب السكر وصناعاته عند العرب والمسلمين". حولية دائرة الآثار العامة، المجلد ٢٢، عمان ١٩٧٧ / ١٩٨٧ م. ص ١٢-١٨ .

٤٥- أبو دلو، ربي معاصر السكر في غور الأردن. رسالة ماجستير غير منشورة معهد الآثار والاثروبولوجيا- جامعة اليرموك، ١٩٩١. ص ٣٦-٦٤ .

46- Franken , H. And Kalsbeek, J. Potters Of A Medieval VILLAGE In The Jordan Valley. New York: American Elsevier Press. 1975. Pp.66-75 .

Franken , H, And Kalsbeek, J. 1975. سيشار إليه عند وروده فيما بعد. هكذا:

47- La Gro , H." Abu Sarbut". Akkadica. Vol. 7. 1989. Pp. 118-119;

De Hass, H.; La Gro , H. And Steiner, M. " First Season Of Excavations At Tell Abu Sarbut, 1988: A Preliminary Report". Annual Of The Department Of Antiquities Of Jordan. Vol. 33. Amman, 1989. Pp. 323-326.

La Gro, H. And De Hass, H. " Sugar Pots: A Preliminary Study Of Technological Aspects of A Class Of Medieval Industrial Pottery From Tell Abu Sarbut , Jordan ". News Letter. DEPARTMENT Of Pottery Technology. Vol. 718. University Of Leiden . 1989/1990. Pp. 7-20.

٤٨ — ابن شداد، الاعلاق الخطيرة. ص ٣٢٦.
الدمشقي (الانصاري أبو عبد الله محمد). نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، تحقيق.
مهران، لبيزخ، ١٩٢٣. ص ٢٠١. سيشار إليه عند وروده فيما بعد هكذا: الدمشقي،
نخبة الدهر.

٤٩ — ابن شداد، الاعلاق الخطيرة. ص ٣٢٦.
٥٠ — المقرئ (أحمد بن علي). كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك، ج ١٢. تحقيق محم
دزبادة، القاهرة، ١٩٥٨. ص ٥٢٣.

سيشار إليه عند وروده فيما بعد هكذا: المقرئ، كتاب السلوك.
الداودري (أبو بكر بن عبد الله بن أبيك). كتاب الدرر وجامع الغرر. تحقيق هارمان
، القاهرة، ١٩٧١. ص ١١٢.

سيشار إليه عند وروده فيما بعد هكذا: الداودري، كنز الدرر.
٥١ — انظر الخارطة رقم /٢/.

52- Wild Stefan. Libanesische Orts-name, Typologie
Und Bedeutung.

Lebanon, 1973. P. 174.

Sultan Al- Ma`ani. Nordjordanische Ortsnamen.
Hildesheim, Georg Olms Verlag. 1992. P. 132.

53- Westendorf, W. Koptisches Hand - Worterbuch.
Heidelberg, 1977. P. 335.

٥٤ — ابن اياس، بدائع الزهور. ص ٣٣٢.

٥٥ — العمري (فضل الله العمري شهاب الدين أحمد بن يحيى). مسالك الابصار في
ممالك الامصار. تحقيق أيمن فؤاد سيد، القاهرة، ١٩٨٥. ص ٥٥. سيشار إليه عند
وروده فيما بعد هكذا: العمري، مسالك الابصار.

56- Hartmann, R. 1910. P. 686.

Hartmann, R. " Zur Geschichte Der Via Maris". Zeits-
chrf Des Deutschen Palastina- Vereins (ZDPV) , Vol. 41.
Leipzig. 1918. P. 54.

HARTMANN, R. 1918.: سيشار إليه عند وروده فيما بعد هكذا:

57- Mittmann, S. Beitrage Zur Siedlungs und ter-
ritorial geschichte des Nordlichen Ostjordanlandes.

Wiesbaden , 1970. P. 164, 228.

Mittmann, S. 1970.: سيشار إليه عند وروده فيما بعد هكذا:

٥٨- القلقشندي، صبح الأعشى، ج ١٤، ص ٣٨٠.

★ يقع موقع زحر العقبة، ويسمى زحر النصارى أيضاً، على يسار الطريق المعبد الواصل بين مدينتي إربد والشونة الشمالية. ويبعد هذا الموقع الأثري حوالي ١٢ كم للشرق من مدينة الشونة الشمالية، وعلى بعد ٥ كم للغرب من قرية قم. ولقد زاد كاتب هذا التقرير هذا الموقع، وتبين أن جميع الشقف الفخارية الظاهرة على السطح تعود للعصر الایوبي/ المملوكي. ويظهر فيه مجموعة إنشاءات معمارية تشبه تلك التي عثر عليها في موقع ذراع الخان، والعائدة للعصر المملوكي. ويتواجد مجموعة من الاحواض استعملت لتجميع مياه الامطار. وإن الدلائل الظاهرة على السطح تشير بشكل واضح على أن هذا الموقع استعمل كمحطة تجارية على الخط التجاري الواصل بين الشونة الشمالية وإربد في العصر المملوكي المبكر.

٥٩- المقرئزي، كتاب السلوك، ج ١. ص ٥٤٤.

ابن تغري بردي (جمال الدين أبي المحاسن يوسف). النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. ج ٧. تحقيق جمال محمد محرز وفيهم محمد شلتوت. القاهرة. ١٩٧٠، ص ١٤١، سيشار إليه عند وروده فيما بعد هكذا: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة.

ابن شداد، الاعلاق الخطيرة. ص ٣٥٢.

٦٠- ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٥. ص ٣٩١.

٦١- معاوية ابراهيم وخير ياسين، وجيمس سور. اوراق تسجيل المواقع الأثرية لعام ١٩٧٥ م. غير منشورة، محفوظة في أرشيف متحف الآثار الجامعة الأردنية.

٦٣- القلقشندي، صبح الأعشى، ج ١٤، ص ٣٨٠.

ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٦. ص ٤٨.

٦٤- ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٦، ص ٤٨.

65- Laidus, I. Muslim Cities In The Later Middle Ages. Cambridge, Harvard Un . Press. 1967 . P. 124 .

Laidus, I. 1967. سيشار إليه عند وروده فيما بعد هكذا:

Labib, S. " Egyptian Commerical Policy In The Middle East". The Economic History of The Middle East. Ed. Cook, M. Oxford, 1978. Pp.70-72.

Schwolbe, V. " Die Verkherewege und Ansiedlungen Gelilaas In Ihrer Abhangigkeit von Den Naturlichen Bedingungen ". Zeitschrift Des Deutschen Palastina - Vereins(Zdpv) , Vol, 27. Leipzig, 1904. Pp. 57-149 .

Hartmann , R. 1910. Pp. 665-702.

Jaussen , J. " Inscription Arabe Du Khan Al-ahmar a` Baisan(Palestine)". Palestine Exploration Fund Annual. London , 1940. Pp. 99-104.

Sauvaget, J. " Caravanserais Syriens du Moyen Age". Ars Islamica. Vol. 7. 1940.pp.1-19.

Abu Khalaf, M. " Khan Yunus And The Khans of Palestine." Journal Of The British School Of Archaeology In Jerusalem, (Levant) , Vol. 15. London, 1983. Pp. 178-187.

٦٦- المقرئزي، كتاب السلوك. ج ٢. ص ٣١٨.

67- **Kareem, J.** 1992. Pp. 105_180.

68- **Laidus, I.** 1967. Pp. 23-31.

Brown, R. Late Islamic Settlement Patterns on The Karak Plateau, Transjordan. Binghampton: Sung Press. 1985. P. 18.

Brown, R. 1985.: سيشار إليه عند وروده هكذا:

69- **Russel, J.** " The Population of Medieval Egypt". Journal Of The American Center in Egypt. Vol. 5. Pp. 69-82.

Dols, M. The Black Death In The Middle East. Princeton Un. Press , 1977. Pp.154,185,223.

Dols, M. 1977. سيشار إليه عند وروده فيما بعد هكذا:

Dols, M. The Second Plague Pandemic And Its Recurrences In The Middle East : 1347-1894" . **Jesho** , Vol. 22. 1979. Pp. 169_182.

Dols, M. 1979. سيشار إليه عند وروده فيما بعد هكذا:

Dols, M. " The General Mortality of The Black Death In The Mamluk Empire ". Studies in The Islamic Middle East, 700-1900. Darwin Press, PRINCETON, New Jersey , 19481.pp.416_417.

Dols, M. 19481. سيشار إليه عند وروده فيما بعد هكذا: غوانمة، يوسف درويش. «القرية في جنوب بلاد الشام (الأردن وفلسطين) في العصر المملوكي في ضوء قرية أدر».

Studies on The History And ARCHAEOLOGY Of Jordan, Vol. I. Ed. Hadidi, A. Amman, 1982.p.364.

سيشار إليه عند وروده فيما بعد هكذا: غوانمة، ١٩٨٢ .
غوانمة، (يوسف درويش). الطاعون، والجفاف وأثرهما على البيئة في جنوب الشام (الأردن وفلسطين) في العصر المملوكي.

Studies on The History And Archaeology Vol. Ii . Amman , 1985. Pp. 316_318.

سيشار إليه عند وروده فيما بعد هكذا: غوانمة، ١٩٨٥ .

٧٠ — المقريري، كتاب السلوك، ج ٢، ص ٧٧٤ .

٧١ — المقريري، كتاب السلوك، ج ٢. ص ٧٨٤ .

ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٠، ص ٢٠٩ .

72- Dols, M. 1977. P. 62, 159.

Rabie, H. " Some Technical Aspects Of Agriculture In Medieval Egypt." The Islamic Middle East 700-1900. Ed. Udovitch , A. The Darwin Press, Princeton. 1981. P. 80.

٧٣ — المقريري، كتاب السلوك، ج ٢. ص ١٥١ .

القلقشندي، صبح الأعشى. ج ٣. ص ١٨٨، ١٩٠، ١٩٢ .

النويري (شهاب الدين أحمد بن عبد الله) . نهاية الأرب في فنون الأدب ج ٨ . القاهرة ١٩٧٥ . ص ٢٧١ .

Ziadeh, N. Urban Life In Syria under The Early Mam-luks. Bairut, 1953. P. 113.

Ziadeh , N. " Town Administration In Syria Under The Early Mamluks". Proceedings Of Twentysecond Congerss Of Orientalists. Vol. Ii . Ed . Zeki Togan . Leiden. 1957.p . 213.

74- Hutteroth, W. And Abdulfattah, K. Historical Geography Of Palestine, Transjordan and Southern Syria In the Late 16th Century. Erlangen, 1977, Map. 3;

سيشار إليه عند وروده فيها بعد هكذا:
Hutteroth and Abdulfattah, 1977.

75- Ashtor, A. " Levantine Sugar Industry In The Late Middle Ages: An Example Of Technological Decline".

Ashtor, A. 1977: سيشار إليه عند وروده فيها بعد هكذا:

Ashtor, A. Levant Trade in The Later Middle East. Princeton UN. Press. 1983. P. 206.

سيشار إليه عند وروده فيها بعد هكذا: Ashtor, A. 1983.

Udovitch, A. " Introduction - Technology, Land Tenure And Rural Society: Pre- Modern Middle East". The Islamic Middle East 700-1900: Studies In Economic And Social History. Ed. Udovitch, A. The Darwin Press, Princeton, 1981.p.15.

سيشار إليه عند وروده فيها بعد هكذا: Udovitch, A. 1981.

76- Ashtor , A. 1983.p.208.

77- Laidus, I. 1967, P. 27-28.

Musallem, B. " Birth Control and Middle Eastern History", The Islamic Middle East 700-1900: Studies In Economic and Social History. Ed. Udovitch, A. The Darwin Press, Princeton, 1981,p.434.

٧٨- ابن طولون(شمس الدين محمد بن علي بن طولون). مفترق الخلان في حوادث الزمان. ج ١. توفيق محمد مصطفى زيادة. القاهرة، ١٩٦٢م. ص ٢٠٣، ٢٢٥، ٢٦٤، ٣١٥، ٣٤٤.

٧٩- المقرئزي، كتاب السلوك، ج ٢، ص ٨٥٤.

- 80- **Hartmann, R.** 1910. Pp. 694-702.
- Hartmann, R. 1918. Pp. 55-56.
- 81- **Heyd, U.** Ottoman Documents on Palestine 1552-1516. Oxford: The Clarendon PRESS. 1960. P. 76.
- Heyd, U. 1960. سيشار إلیه عند وروده فیما بعد هکذا:
- 82- **Al- Bakhit, M.** " Jordan In Perspective: The Mamluk Ottman Period." Studies on The History And Archaeology Of Jordan, I . Ed. Hadidi , A. Amman, 1982. P. 362.
- Al- Bakhit, M. 1982. سيشار إلیه عند وروده فیما بعد هکذا:
- Lewis, B.** " Studies In Ottoman Archives". Bulletin Of The School Of Oriental and African Studies. Vol. 16. London, 1954. P. 487.
- Lewis, B. 1954. سيشار إلیه عند وروده فیما بعد هکذا:
- Hutteroth And Abdulfattah**, 1977, P. 8.
- 83- **Cohen, A. and Lewis, B.** Population And Revenue in The Towns Of Palestine In The Sixteenth Century. Princeton Un. Press. 1978. P. 42-75.
- Cohen And Lewis , 1978. سيشار إلیه عند وروده فیما بعد هکذا:
- 84- **Peterson, A.** Early Ottoman Forts on The Hajj Route in Jordan. Oxford, 1986. Pp. 24-109.
- Peterson, A. 1986. سيشار إلیه عند وروده فیما بعد هکذا:
- Burchhardt, J.** Travels In Syria and The Holy Land. London, 1822. Pp. 656-661.
- Burchhardt, J. 1822. سيشار إلیه عند وروده فیما بعد هکذا:
- PeakeE, P.** A History of Jordan and its Tribes, Miami Un. Press. Coral Gables, Florida. 1958. P.85.

- Peak, P. 1958. سيشار إلیه عند وروده فیما بعد هکذا.
- Rafeq Abd L- Karim. The Province Of Damascus 1723-38. Beirut, 1966.pp. 52-37,115.
- Rafeq, 1966. سيشار إلیه عند وروده فیما بعد هکذا.
- Al - Bakhit, M. The Ottoman Province Of Damascus In the Sixteenth Century. London , 1972. P. 99.
- Al - Bakhit, M. 1972. سيشار إلیه عند وروده فیما بعد هکذا.
- Barbir, K. Ottoman Rule in Damasus 1708-1758. Princeton , Un. Press. 1980. Pp. 133-150.
- Barbir, K. 1980. سيشار إلیه عند وروده هکذا.
- 85- Al- Bakhit, M. 1972. Pp . 99-100.
- Al- Bakhit, 1982. P. 362.
- 86-Hutteroth and `Abdulfattah, 1977. Pp. 176-177.
- 87-Hutteroth and `Abdulfattah, 1977. Pp. 176-177.
- 88- Kareem , J. 1992/ P. 61.
- 89- Heyd, . 1960.pp. 110-112.
- 90- Heyd, U. 1960.pp.111.
- 91- Tshelebi , E. " Evliya Tshelebi`s Travels In Palestine" , Quarterly Of The Department Of Antiquities In Palestine. Vol. 6. Jerusalem . 1936/37.p.84.
- Tshelebi, E. 1936/37. سيشار إلیه عند وروده فیما بعد هکذا.
- Gal , Z. " Khan El- Tuggar: A New Look at A Western Survey Entry" . Palestine Exploration Quarterly. Vol.117. London, 1986. P. 74.
- Gal, Z. 1986. سيشار إلیه عند وروده فیما بعد هکذا.
- Heyd, U. 1960. Pp. 110-115.

- ٩٢- النابلسي (الشيخ عبد الغني) الحضرة الأنسية في الرحلة القدسية. مخطوط في مكتبة الدولة ببرلين. رقم المخطوط 6145. We 12. ص ٢٠٦.
- ٩٣- Cohen , A. Palestine in The 18th Century .
Cohen , A. 1973. سيشار اليه عند وروده فيما بعد هكذا: 1900.
Rafeq , A. 1966. P.130, 157, 285 ; M - Bakrit , M. 1985. P. 362.
Rafeq , A. " Economic Relations Between Damascus And The Dependent Countryside 1943-71" . The Islamic Middle East 700-1900; Studies in The Economic and Social History . Ed. Udovitch, A. The Darwin Press, PRINCETON , New Jersey , 1981. P. 653.
٩٤- Cohen, A. 1973. P. 105.
Steueranagel, C. Der adschlun , Leipzig, 1927. Pp. 130-131.
Steuernagel, C. 1927.
٩٥- Bosworth , c. " William Lithyow Of Lanark's Travels In Syria and Palestine 1611-1612." Proceedings of the First International Conference ON BILAD AL-SHAM, 20-25 APRIL, 1984, PART I (UN OF JORDAN AND Yarmouk Un. 1984. P. 20.
Bosworth, C. 1984. سيشار اليه عند وروده فيما بعد هكذا: 1900.
٩٦- Bosworth, C. 1984.p. 21.
Heyd, U. 1960. 85,88,80,101.
٩٧- النابلسي، مخطوط، ص ٢٠٦.
٩٨- Forster, W. The Travels Of John Sanderson in the Levant. London , 1931. P , 114.
النابلسي، مخطوط، ص ٢٠٦.
٩٩- Schumacher, G. " Das Sudliche Basan Zum Ersten Male Aufgenommen Und Beschrieben". Zeitschrift Des Deutschen Palastinavereins. Vol. 20. Leipzig. 1897. P . 108.
Schumacher, G. 1897. سيشار اليه عند وروده فيما بعد هكذا: 1900.

- 100- Gal , Z. 1986. P. 69_75.
- 101- HUTTEROTH And Abdulfatah, 1977. P.88.
- 102- Mershen , B. And Knauf, A. " From Gadar to Umm Qais", Zeitschrift Des Deutschen PalAstina- Vereins , Vol. 104. Stuttgart, 1988. P. 143.
- 103- Burckhardt, J. 1822.pp. 269. 70.
- 104- Burckhardt, J. 1822.p. 315.
- Tshelebi, E. 1936/37. Pp. 84_85.
- Hütteroth and `Abdul Fattah, 1977. P. 43.
- Lewis , B. Studies In Classical And Ottoman Islamic (7th- 16th Century) . London, 1976. P. 497.
- 105- Al- MA` ANI, S. Nordjordanische Ortsnamen . Hildsheim, Georg Olms Verlage, 1992.p 253.
- 106- Hanbury - Tenison , et Al. 1984. Pp. 417_422.
- ١٠٧— أجريت في هذا الموقع حفرة أثرية انقاذية عام ١٩٨٩م. وأشرف عليها كاتب هذا المقال ممثلاً لمعهد الآثار والانثروبولوجيا— جامعة اليرموك، والسيد حكمت الطعاني ممثلاً لدائرة الآثار العامة. ولقد كشف في السويات العلوية على شقف فخارية وثلاثة طوابين، تعود للعصر العثماني، غير منشورة.
- ١٠٨— ابن زين البقاء(محمد بن زين البقاء عيسى بن كنعان). المواكب الاسلامية في الممالك والمحاسن الشامية. مخطوط في مكتبة الدولة ببرلين، رقم. 1116. We. 6088.
- 109- Karmon, Y;" The Settlement Of The Northern Huleh Valley since 1838".
- ١١٠ — أسد رستم. البشير بين السلطان والعزيز ١٨٠٤—١٨٤١. بيروت، ١٩٦٦، ص ١٧١.
- 111-Steuernagel, C. 1927. 27. 130.
- Ma`oz, M. Ottoman Reform in Syria and Palestine 1840-1861. Oxford, 1968, P. 145,164-165.

112-**Karmon, Y.** " An Analysis Of Jacotin is Map Of Palestine".

113-**Peake, P.** 1958. Pp. 81_92.

Issawi , B. The Economic History Of The Middle East, 1800-1914. Chicago Un. Press. 1966. Pp . 262_263.

Al- Mousa, S. " Jordan: Towards the end Of The Ottoman Empire 1841-1918". Studies On The History And Archaeology Of Jordan. Vol.I. Ed. Hadidi, A. Amman , 1982.pp.385/91.

Jones, B. " Interregional Relationship In Jordan: Persistence And Change ". Studies on the History and Archaeology Of Jordan, Vol. 2. Ed. Hadidi, A. Amman , 1985. P. 310.

114- **Steuernagel, C.** 1927. P. 130.

115- **Peake, P.** 1958.pp. 95_97.

116- **Weakely, E.** " Report on the Conditions and Prospects Of British Trade In Syria". Economic History Of The Middle East 1800-1914. Ed. Issawi, C. Chicago Un. Press. 1966. Pp. 274. 290.

117- **Burckhatdt, J.** 1822.p. 296.

Schumacher, G. Across The Jordan: An Exploration and Survey of Part Of Hauran and Jaulan, 1886. Pp. 22. 23 .

118- **Burckhardt, J.** 1822. P. 274.

119- **Schumacher, G.** "Abila Of The Decapolis ". Palestine Exploration Fund , London, 1889. Pp. 71, 72, 189, 190.

120- **Schumacher, G.** 187. P. 114.

Northy, A. "East Of Jordan , Expedition Exploration Fund. London , 1972. P. 71.

Warren , C. " Expedition East of Jordan". Palestine Exploration Fund . London , 1870. P. 285.

Robinson , E. Biblical Researches In Palestine and the Adjacent Regions. Vol. 11.

Smith, A. The Historical Geography Of The Holy Land. London, 1897. Pp. 488- 489.

121- **Karmon, K.** 1960. P. 251.

Steurnagel, C. " Der `adslun" . Zeithschrift Des Deutschen Palastina - Vereins. Vol. 49. Leipzg, 1926. Pp. 134-137.

122- **Schumacher, G.** 1897. P. 108.

123- **Ibrahim, M. et Al.** 1976. P. 59.

124- **Ibrahim, M. et Al.** 1976. P. 59.

Yassine , K. et Al. 1988. P. 168.

125- **Burckhardt, J.** 1822. P. 275.

126- **Ibid.** P. 180.

127- **Schumacher, G.** 1992. Pp. 105-180.

128- **Kareem, J.** 1992. Pp. 105-180.

١٢٩—انظر الخارطة طريق رقم ٣.

130- **Amiran, D.** " A Revised Earthquake Catalogue Of Palestine"